معالم الطريق
جغرافيا القلوب:
من هدي القرآن والسنة

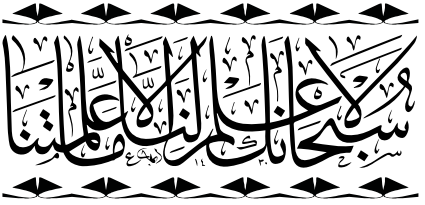

الطبعة الأولى

1446هـ / 2025م

رقم الإيداع

2025/1405

ردمك ISBN 978-977-8688-51-7

حقوق الطبع محفوظة

8 شارع أبي البركات الدردير – خلف الجامع الأزهر الشريف – القاهرة

هاتف: 00201120747478 – 00201068307973

e-maim: darassaeh88@yahoo.com

معالم الطريق

جغرافيا القلوب : من هدي القرآن والسنة

حسام وليد السامرائي

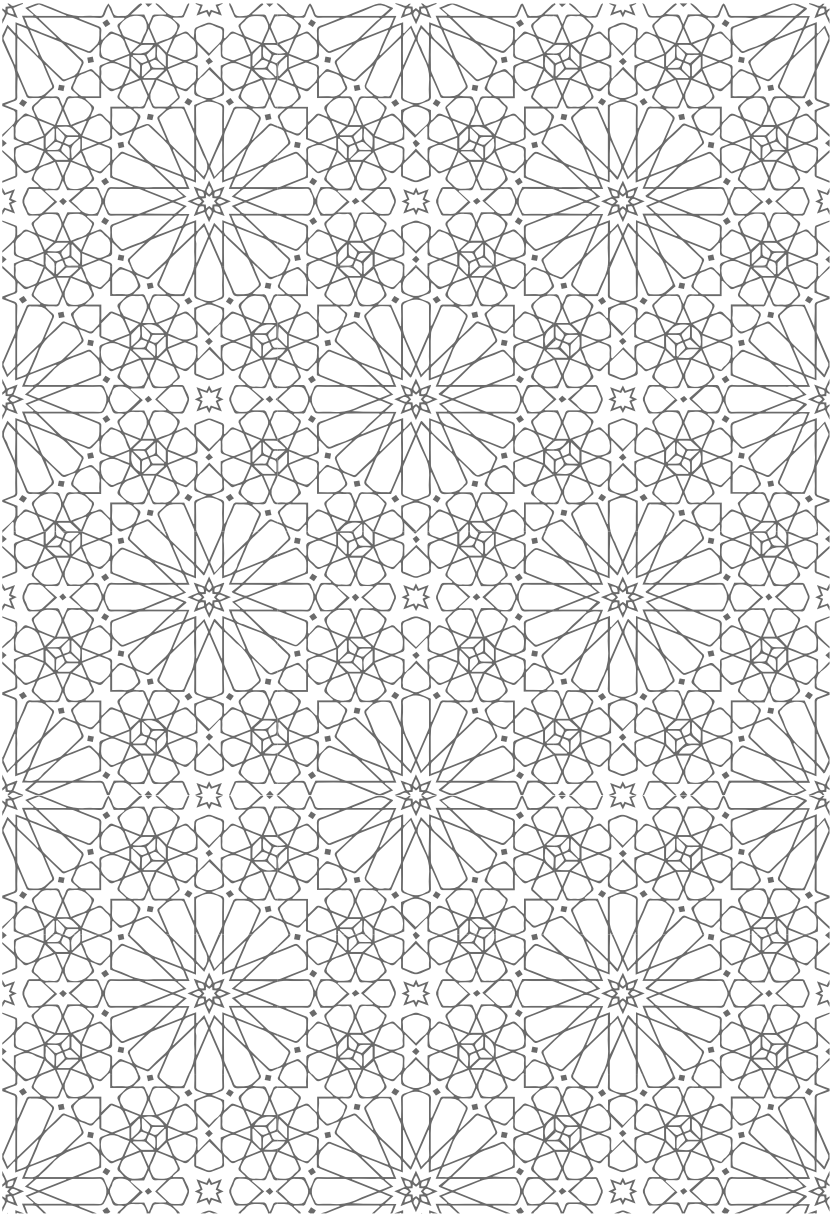

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد: الآية ٢٨]

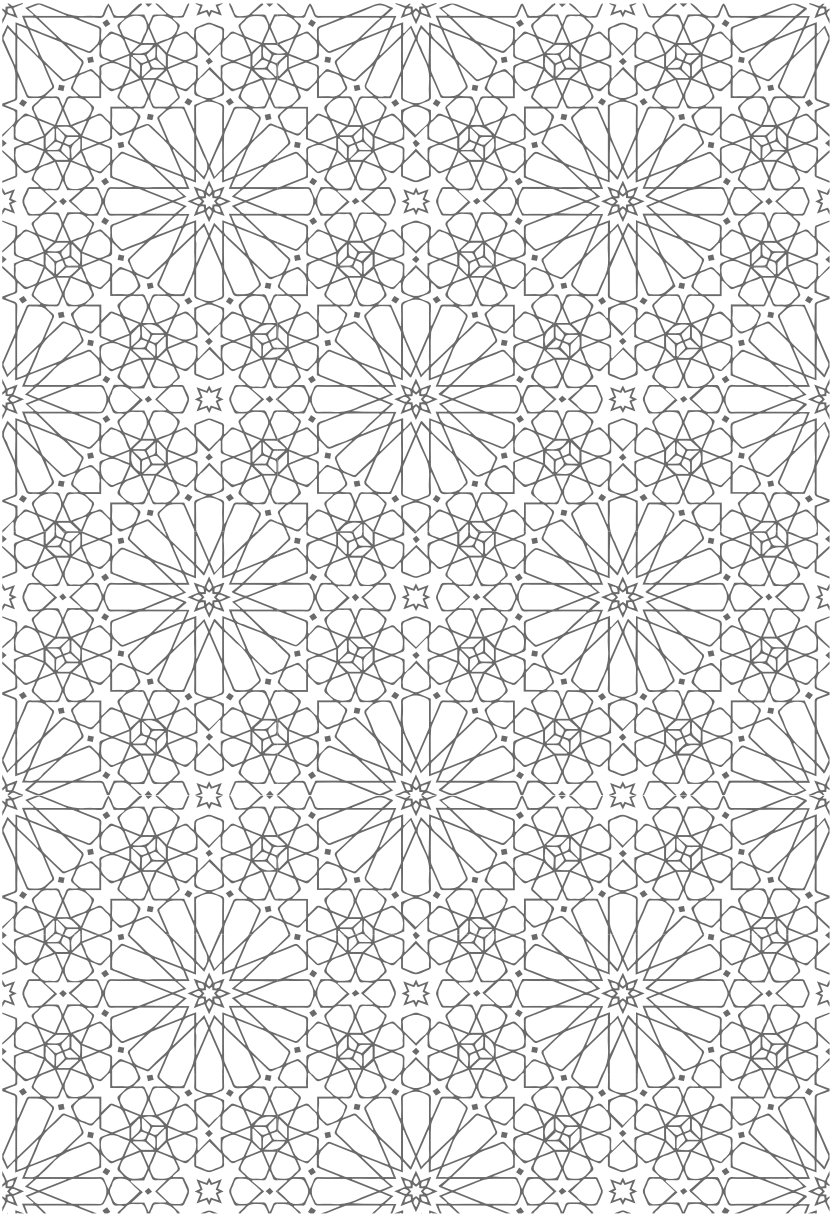

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ»

[رواه ابن ماجة بسند حسن]

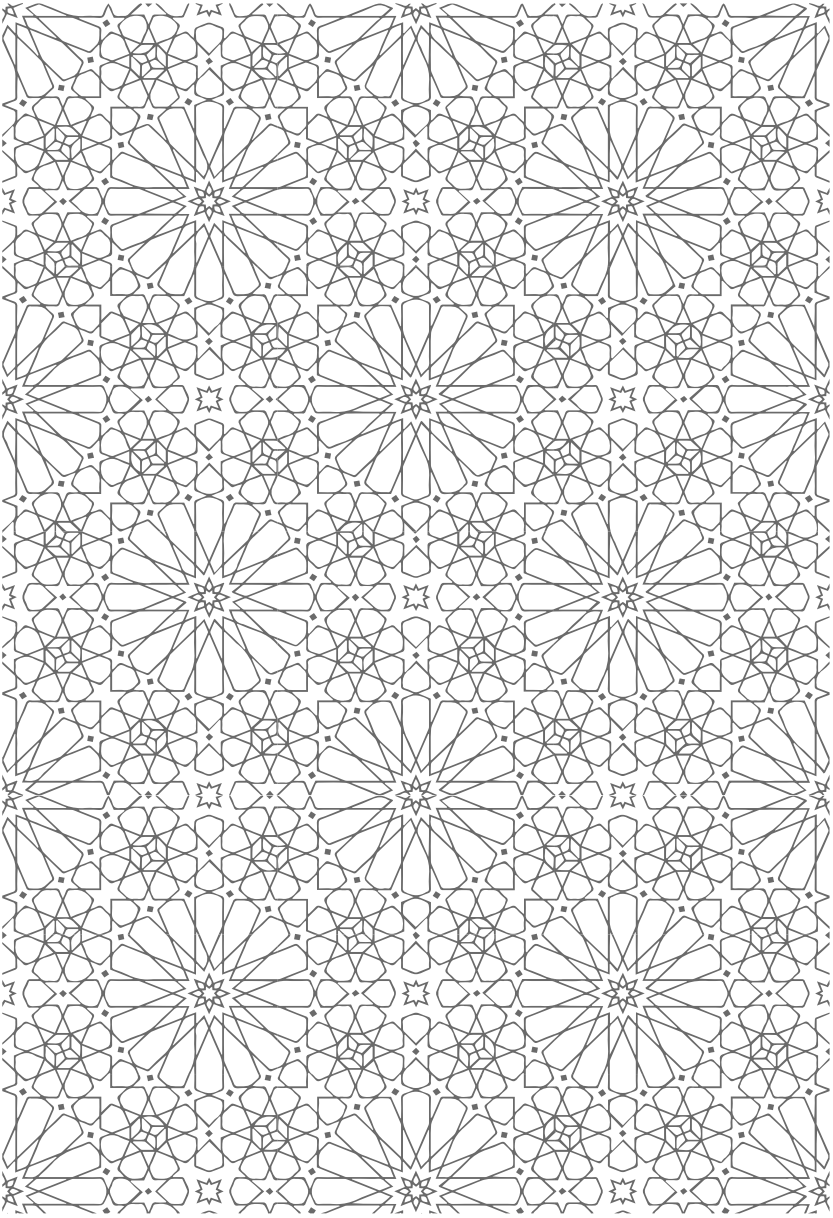

قال ابن القيم رحمه الله

والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من كل آفة تبعده من اللَّه.

[الداء والدواء]

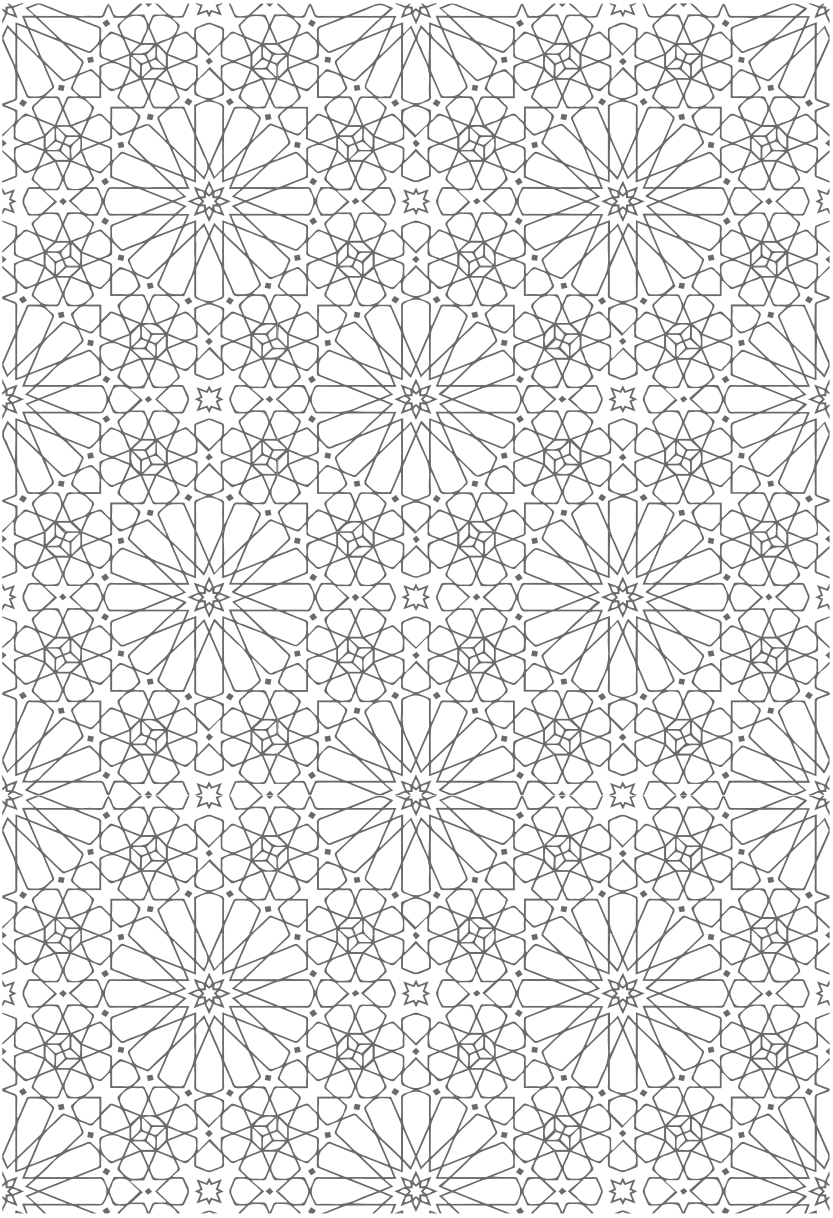

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القلوب أوعية لنوره، ومهابط لأسرار معرفته، ومرايا تنعكس عليها تجليات هداه، فمن أخلصها لله طهرها وسقاها من معين الإيمان، ومن أسلمها لهواه ران عليها حتى غدت مظلمةً كالكهوف المهجورة، لا تعرف للضياء سبيلًا. وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد، الذي لا يقبل من عباده إلا قلوبًا سليمة، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الذي كان أنقى الناس قلبًا، وأطهرهم سريرة، وأرقّهم خشوعًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين استضاءت أرواحهم بنور الوحي، فكانوا مصابيح هداية في ظلمات الحياة.

إن القلب ليس مجرد مضغة تُضخّ الدم في الجسد، بل هو ركيزة الكيان الإنساني، ومركز الإدراك الحقيقي، والبوصلة التي تحدد المسار بين الهداية والضلال، وبين السكينة والاضطراب. فهو مستودع الأسرار الإلهية، ومحل نظر الرب، وهو إما أن يكون متوهجًا بنور الإيمان، مستنيرًا بأنوار التقى، وإما أن يذبل في غياهب الغفلة، متصلبًا كصخور الصحاري القاحلة التي لا تُمسك

ماءً ولا تُنبِت زرعًا. غير أن القلوب ليست على نسقٍ واحد، كما أن الأرض ليست في خصوبتها سواء. فكما أن للأرض تضاريسها المختلفة، بين السهول الخصبة التي تحتضن المطر، والجبال الشاهقة التي تحتضن الثلوج، والوديان التي تجرفها السيول، والقفار التي لا تحفظ ماءً، فكذلك القلوب؛ فمنها ما يزهر بالإيمان، ومنها ما يُبتلع في أودية الهوى، ومنها ما تجف فيه ينابيع الخشوع حتى يتصلب فلا يتأثر بعظة ولا يلين لموعظة. وهذه ليست مجرد استعارات بلاغية، بل هي تشبيهات قرآنية تحمل أعمق الدلالات، وتكشف عن سنة ربانية تحكم تقلبات القلوب بين الحياة والموت، وبين الرقة والقسوة، وبين النور والظلمة.

وانطلاقًا من ذلك، يأتي هذا البحث ليغوص في «جغرافيا القلوب»، مستكشفًا تضاريسها، ومتتبعًا معالم الطريق فيها، وفق ما رسمه الوحي الإلهي في كتاب الله عزوجل وسنة نبيه ﷺ. إذ لسنا إزاء تأملات ذهنية عابرة، بل أمام سنن إلهية محكمة، تكشف لنا أسباب صلاح القلب أو فساده، وتحدد لنا معالم السير لمن أراد أن يرتقي بقلبه إلى مقام النقاء والإخلاص، بعيدًا عن مزالق الهوى وأودية الغفلة.

لقد وضع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنا خارطة واضحة تهدينا إلى ينابيع النور، لكنّ

كثيرًا من القلوب تضل في منعطفات الطريق، فتغرق في لجج الغفلة، أو تجرفها سيول الشهوات، أو تتيه في قفار القسوة بلا زاد. فكيف السبيل إلى إحياء القلوب التي خبت أنوارها؟ وكيف يتحول القلب اليابس إلى روضة خضراء تنبض بالإيمان؟ وكيف نتقي عوامل التعرية الروحية التي تسرق من القلوب حيويتها ونقاءها؟

إن هذا البحث محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات، من خلال دراسة النصوص القرآنية والحديثية التي تحدثت عن طبيعة القلوب وتقلباتها، ومن ثم استنباط المنهج الرباني في إصلاحها والارتقاء بها، حتى نصل إلى مرتبة «القلب السليم»، ذاك القلب الذي لا يُقبل عند الله غيره، ولا يُنجي العبدَ إلا أن يكون متشحًا بنوره، نقيًا من الأهواء والشوائب.

فإلى الطريق... حيث منازل النور، ومشارف اليقين!

كتبه

حسام وليد البدري السامرائي

٤ شعبان ١٤٤٦ للهجرة

الموافق ٣شباط ٢٠٢٥

تساؤلات البحث:

١- ما مفهوم القلب في القرآن والسنة، وما أنواعه المختلفة كما وردت في النصوص الشرعية؟

٢- كيف صوّر القرآن الكريم والسنة النبوية أحوال القلوب وربطها بالواقع السلوكي للإنسان؟

٣- ما العوامل التي تؤدي إلى صلاح القلب أو فساده، وما الوسائل الشرعية لإصلاحه؟

أهداف البحث:

١- تحليل المفهوم القرآني والحديثي للقلب، وبيان أنواعه المختلفة وأثرها في حياة الإنسان.

٢- استكشاف التشبيهات القرآنية لأحوال القلوب وربطها بالواقع النفسي والسلوكي للإنسان.

٣- تقديم منهج عملي لإصلاح القلب والارتقاء به وفق تعاليم القرآن والسنة..

أهمية البحث:

١- يسلط الضوء على أحد أهم الموضوعات الروحية في الإسلام، وهو

القلب باعتباره مركز الإيمان والهداية.

٢- يربط بين التشبيهات القرآنية لحالة القلب والتغيرات النفسية والسلوكية التي يمر بها الإنسان.

٣- يقدم حلولًا عملية لإصلاح القلب، مما يجعله مرجعًا لكل من يسعى إلى تزكية نفسه والارتقاء بروحه.

منهج البحث:

يعتمد البحث على منهجية تكاملية تجمع بين المنهج التفسيري لتحليل النصوص الشرعية المتعلقة بالقلب، والمنهج الاستقرائي لتتبع الآيات والأحاديث وتصنيفها وفق حال القلوب، والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة تشبيهات القلوب في القرآن وربطها بالواقع النفسي والسلوكي للإنسان. كما يستخدم المنهج المقارن لبيان الفروقات بين القلوب الحية والقاسية، وأخيرًا المنهج التطبيقي لاستخلاص وسائل عملية لإصلاح القلب وفق منهج القرآن والسنة، مما يجعل الدراسة متوازنة بين الجانب النظري والبعد العملي التطبيقي.

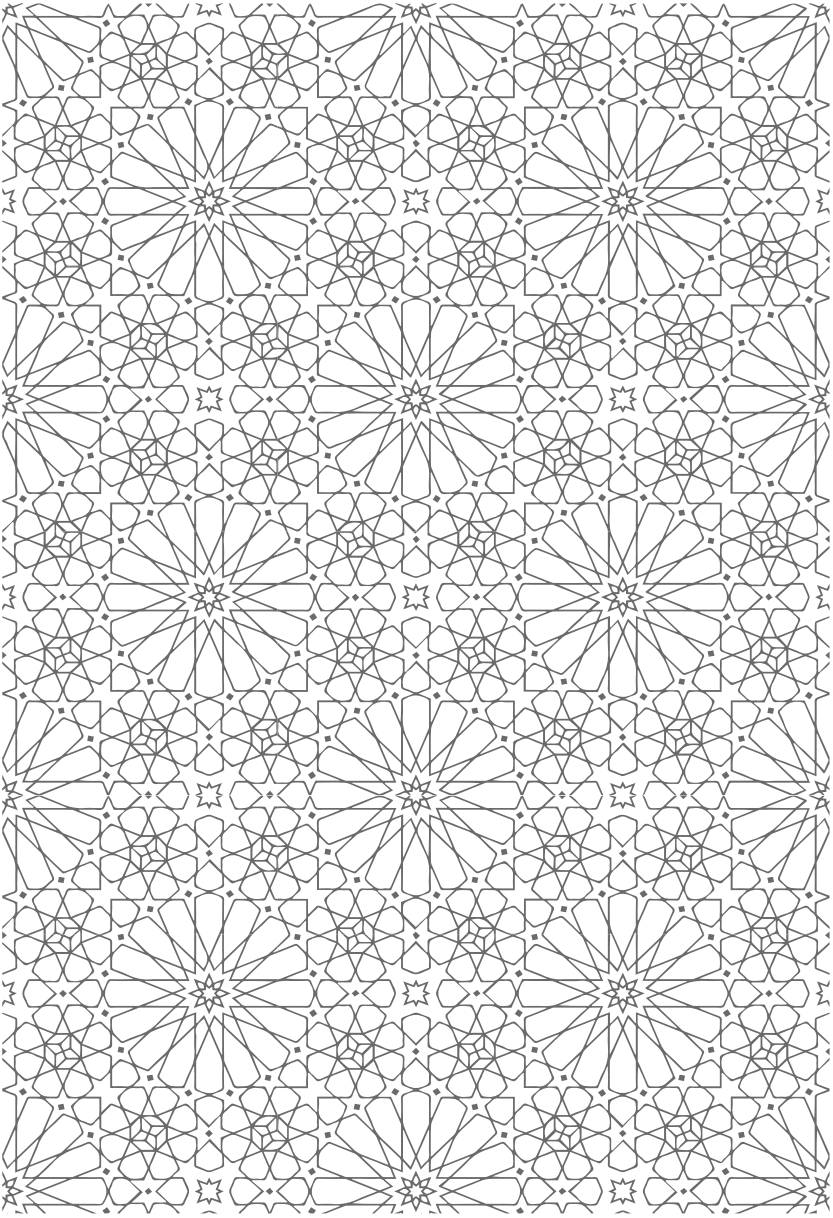

المبحث الأول

القلب في القرآن والسنة – المفهوم والمكانة والأنواع

يُعدّ القلبُ البُنيةَ الجوهريةَ في التكوين الوجودي للإنسان، فهو ليس مجرد عضو بيولوجي مسؤول عن ضخ الدم، بل هو المحرك الأساسي للإدراك، ومركز التفاعل الروحي، وبؤرة التوجيه السلوكي. ووفقًا للتصور القرآني، فإن القلب يمثل ميدانًا تتجاذبه قوى الهداية والضلال، ويتشكل وفق مؤثرات داخلية وخارجية تحكم تقلباته بين الصفاء والتكدّر، وبين الاستنارة والانغلاق. ومن هنا، كان للقلب دور محوري في تحديد المسار الأخلاقي والروحي للإنسان، حيث يتخذ طابعه إما كيانًا نابضًا بالإيمان والخشوع، أو كيانًا متصلبًا مغلقًا أمام النور الإلهي.

لقد قدم القرآن الكريم والسنة النبوية مقاربة بديعة لحالات القلب، لا من خلال توصيفات جامدة، بل عبر استعارات تضاريسية دقيقة، حيث شُبّه القلب بالأرض في خصوبتها وجدبها، وبالجبال في ثباتها أو تزلزلها، وبالوديان

في احتضانها للماء أو جفافها، وبالصحارى التي تعصف بها الرياح فتذرها قاحلة. هذه التشبيهات ليست مجرد زخرف بلاغي، وإنما هي مفاتيح لفهم طبيعة التغيرات القلبية، واستيعاب السنن الإلهية التي تحكم رقتها أو قسوتها.

وفي هذا المبحث، سنتناول مفهوم القلب في اللغة والاصطلاح، وبيان مكانته في الإسلام، ثم ننتقل إلى تصنيف أنواعه كما وردت في النصوص الشرعية، وصولًا إلى تحليل العوامل التي تؤدي إلى هدايته أو انحرافه.

تعريف القلب في اللغة:

يعود الأصل اللغوي لكلمة «قلب» إلى الجذر الثلاثي (ق-ل-ب)، والذي يفيد معنى التحول والتغير والانتقال من حال إلى حال. ومن ذلك قول العرب: «قلبت الشيء»، أي حوّلته من جهة إلى أخرى، ويُقال «تقلبت الأحوال» أي تغيّرت من صورة إلى أخرى[١]. وهذا المعنى اللغوي يعكس طبيعة القلب في حقيقته الفسيولوجية والروحية على حد سواء؛ فكما أنه عضو متحرك نابض لا يستقر على حال، فإن حاله المعنوية كذلك تتبدل بين الإيمان والزيغ، وبين الطمأنينة والاضطراب. وهذا ما عبّر عنه النبي ﷺ بقوله: إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، فصل القاف، ط٣، ٥/ ٦٨٥

شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ[١] وبذلك، فإن مدلول «القلب» في اللغة يعكس جوهره الوظيفي، فهو كيان متغير، شديد التأثر بالمؤثرات التي تحيط به، قابل للصعود إلى مراتب النقاء والصفاء، كما أنه قد يهبط إلى دركات الغفلة والقسوة.

مفهوم القلب في الاصطلاح الشرعي:

هو لطيفة ربانية روحانية متعلقة بالقلب الجسماني، وهو حقيقة الإنسان المدرك والمكلف، الذي يُنسب إليه الإيمان والكفر، والعقل والفقه، والاستقامة والزيغ. وقد جعله الله محل المعرفة والتمييز، وهو الذي تنشرح به الصدور أو تضيق، وتتنور به القلوب أو تظلم، وهو المسؤول عن الأعمال والنيات، وهو مناط الحساب والعقاب في الدنيا والآخرة[٢].

تعريف القلب في الاصطلاح الطبي:

هو مركز عصبي وانفعالي يمتلك شبكة عصبية مستقلة (الجهاز العصبي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٢/ ٤٣١، مسند الكوفيين، حديث أبي موسى الأشعري، رقم الحديث ١٩٦٦

(٢) ينظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ٣/ ٣، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٤/ ١١٧، والجرجاني، **التعريفات**، ١٧٨

القلبي)، تتيح له التواصل المباشر مع الدماغ عبر إشارات عصبية وهرمونية، مما يجعله مؤثرًا رئيسيًا في الإدراك، واتخاذ القرار، وتنظيم الانفعالات[١]. ويُعد تقلب معدل ضربات القلب (HRV) مؤشرًا دقيقًا للحالة النفسية، حيث يعكس انتظامه الاستقرار العاطفي، بينما يشير اضطرابه إلى التوتر والقلق. كما ينتج القلب هرمونات عصبية مثل الأوكسيتوسين، التي تؤثر على التفاعل الاجتماعي والاستجابات العاطفية قبل أن يدركها الدماغ، فيما يعرف بـ الحدس القلبي[٢].

القلب في القرآن الكريم: تضاريس الروح ومواطن البصيرة:

يتجاوز القرآن الكريم في تصويره لحالات القلب الأساليب الخطابية المباشرة، ليقدم مقاربةً بديعة ذات طابع كوني، حيث يشبّه القلوب بالأرض في خصوبتها وجدبها، واستجابتها للعوامل المؤثرة عليها. فالقلب أشبه

---

(1) McCraty et al., «**The Coherent Heart: Heart–Brain Interactions, Psychophysiological Coherence, and the Emergence of System -Wide Order**» P. 16-17

(٢) المصدر نفسه، ص٥١-٥٣

بأرض مترامية الأطراف، تضاريسها متباينة بين النجد الذي يسمو بالخشوع، والغور الذي يبتلعه الهوى، والصعيد الطاهر الذي يقبل غيث الذكر، والجرز الذي تأكله القسوة. إنها لوحة تعكس حال النفس البشرية، حيث تتداخل المرتفعات والمنخفضات، وتنفتح المساحات الخضراء بجوار الصحاري الجافة. القلوب هي ميادين البصائر، فيها من التنوع ما يجعلها أشبه بالجرداء الممتدة في سكونها، والمغارات المظلمة في غموضها، والروابي المزهرة في بهجتها قال الله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1]. هذه الآية كأنها دعوة مفتوحة للسير في أرض القلوب كما نسير في الجبال الشامخة أو الشعاب العميقة، لنكتشف ما يخبئه كل قلب من كنوز أو ما يعانيه من خواء. السير هنا ليس مجرد قطع مسافات، بل هو رحلة تأملية إلى الداخل، حيث يُعاد اكتشاف الذات، ويتجلى معنى الصلاح والفساد من خلال القلب.

لذلك قال الله تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[2] فالقلوب الحية كالسفوح الخصبة، تستقبل غيث الإيمان فتزهر أعمالًا صالحة تُرضي

(١) سورة الحج الآية:٤٦

(٢) سورة ق الآية: ٣٧

الله تعالى فهي تنبض بالتدبر والخشوع، وتستجيب لآياته بوعي وإخلاص، تمامًا كالأرض التي تتفاعل مع كل قطرة ماء لتنبت الخير الوفير. وكما أن الماء سر حياة الأرض، فإن الطاعة والذكر هما سر حياة القلب، فإن اعتنى به صاحبه وسقاه بماء الإيمان، تحول إلى واحة غنّاء تفيض بالخيرات، تُنعش النفس وتمنح الراحة لمن حولها.

أما القلب المهمل في قول تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[1]، فهو كالأرض القاحلة، يجف ويفقد قدرته على الإنبات، فلا يثمر إلا أشواك الهوى والغفلة التي تؤذي صاحبها. الإنسان هو زارع قلبه، وما يغرسه فيه يعكس نواياه وعلاقته بربه؛ فإن حرثه بالتوبة وسقاه بالطاعة، أزهرت روحه بالإيمان، وإن تركه بلا رعاية، جف وذوَت معانيه، فلا يحصد إلا العطش الروحي والهلاك. أما القلوب المطمئنة، فهي التي تجد في ذكر الله نورها، وفي الطاعة قوتها، وفي الإيمان حياتها.

القلب مركز الإدراك الحقيقي:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الفكر: هو النواة الأولى لكل إدراك وسلوك؛ إذ تبدأ الخواطر بتشكيل التصورات، التي تستدعي الإرادة، فتترجم إلى فعل،

(١) سورة الأعراف: ١٧٩

ومع التكرار تصير عادة راسخة. فالإنسان محكوم بتدفق الخواطر التي لا يملك إيقافها، لكنها ليست محايدة، بل تتطلب حضور العقل والإيمان لانتقاء النافع منها ونبذ الفاسد، مما يجعل الإرادة حارسًا لمُدخلات الوعي، ومُهندسًا لما يتجسد منه في السلوك[١]. يمثل القلب المحور المركزي في البنية الوجودية للإنسان، إذ تتوزع وظائفه على مستويين متكاملين[٢]:

أولاً: مجال المعرفة والتصورات:

في هذا المجال، يُؤدي القلب دور المركز الإدراكي الواعي، حيث تنشأ فيه العمليات العقلية من تفكر وتأمل واستبصار، فتُصاغ التصورات بناءً على المدركات السابقة والمعارف المكتسبة حديثًا. ويظل القلب في حالة من التفاعل المستمر مع الواقع، إما عبر الانشغال بالمفاهيم الكونية والحقائق الماورائية، أو عبر معالجة قضايا الحياة اليومية، أو بالانجراف في مدارات الوساوس والأوهام.

إن كل إدراك يبدأ كخاطرة، ثم يتبلور إلى فكرة، فإذا تكررت وتعززت، تحولت إلى تصور معرفي يترك أثره في تشكيل الوعي وتوجيه السلوك. وهذه

---

(١) ينظر: ابن القيم، **الفوائد**، ص١٧٣

(٢) ينظر: الغزالي، إحياء **علوم الدين** ٣/ ٦.

الأفكار لا تبقى عشوائية، بل تمر عبر ميزان العقل، الذي يخضعها للتحليل والغربلة، فيقبل منها ما ينسجم مع منطقه، ويرفض ما يفتقر إلى الاتساق العقلي والمنطقي.

ثانيًا: مجال الإرادة والعزائم:

يمثل هذا المجال البعد الديناميكي العاطفي في منظومة القلب، حيث تتجلى فيه الرغبات والدوافع والنفور تجاه الأشياء. لكنه لا يعمل كمنظومة عقلانية بحتة، بل يخضع لمنطق داخلي تتدرج فيه المشاعر والإرادات عبر مستويات تصاعدية تبدأ بالميل العاطفي الأولي، ثم تتطور إلى علاقة ذهنية ووجدانية، ثم تصل إلى إرادة جازمة، تُترجم إلى تصميم وعزم على الفعل.

وحين تكتمل الإرادة، تندفع نحو الفعل، فتتحقق في الواقع المادي، أما إذا بقيت حبيسة الفكر دون أن تجد مخرجًا في السلوك، فإنها تظل في نطاق التمني والتشهي، أي مجرد تصورات ذهنية غير متحققة وجوديًا. وهنا، يصبح العزم هو الحلقة الفاصلة بين الإرادة والإنجاز، وبين الفكرة والتجسيد العملي[1].

وهكذا، فإن القلب هو موطن القرار، حيث يلتقي الفكر بالإرادة،

(١) ينظر: الغزالي، إحياء **علوم الدين** ٣/ ٦.

ويندمج الوعي بالعاطفة، ليشكل الإنسان هويته ويحدد مصيره.

القلب في السنة النبوية:

النواة المركزية هكذا هو القلب في كيان الإنسان، والسلطة العليا التي تُوجه الجوارح وتضبط إيقاع السلوك، بحيث يكون صلاحه هو معيار الاستقامة الكلية للبدن، وفساده إيذانًا بانحراف الكيان بأسره. قال رسول الله ﷺ (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[1] إن هذا التوصيف لا يحيل إلى مجرد وظيفة عضوية، بل إلى مركزية القلب في المنظومة الأخلاقية والروحية، حيث تتحدد من خلاله حركة الإنسان بين الاستقامة والاعوجاج.

محل التفاضل بين البشر اذ لا يكون تقييم الإنسان بناءً على هيئته الظاهرة، أو معاييره الاجتماعية، بل على طبيعة قلبه وما يختزنه من صفاء وإخلاص. قال النبي ﷺ (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٠، كتاب الإيمان، باب من استبراء لدينه، حديث رقم٥٢، وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٢١٩، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم ١٥٩٩

ولكن ينظر إلى قلوبكم)[١] وهذا يجعل القلب معيار التفاضل الحقيقي بين البشر، حيث تتحدد مكانة الإنسان في ميزان القيم الإلهية ليس بما يمتلكه من مظهر أو مكانة اجتماعية، بل بما يحمله قلبه من نقاء وخلوّ من الإثم والبغي والحسد، وهو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله (أفضل الناس كل مخموم القلب، صدوق اللسان)[٢] وعندما سُئل عن معنى «مخموم القلب»، أجاب بأنه القلب النقي التقي الذي لا يحمل حقدًا ولا كراهية، وهو بذلك يمثل النموذج الأعلى للصفاء الإنساني الذي يسمو بصاحبه فوق الاعتبارات الظاهرية.

مفتاح الفوز في الاخرة. ليست مكانة القلب مقتصرة على كونه محل نظر الله، بل تتجاوزه ليكون العامل الحاسم في تقرير المصير الوجودي للإنسان، إذ لا تُقاس النجاة الأخروية بمظاهر الأعمال وحدها، بل بعمق الإيمان المستقر في القلب. فالحدّ الفاصل بين الهلاك والنجاة ليس مجرد اللفظ أو

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، حديث رقم ٢٥٦٤

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٩، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، حديث رقم ٤٢١٦

الفعل الظاهر، بل جوهر ما يحمله القلب من نور الإيمان وصدق اليقين. وهذا ما تؤكده الرؤية النبوية، حيث بشر النبي ﷺ أن مجرد وجود أدنى مقدار من الخير في القلب كفيل بإنقاذ صاحبه من العقاب، إذ يقول (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً)[1].

أنواع القلوب في النصوص القرآنية:

يتجلى القلب في الخطاب القرآني بوصفه المركز الوجودي للإنسان، فهو موطن النقاء حين يزكو، ومستودع الظلمة حين يضل. وبين هذين القطبين، تتفاوت درجاته بين السمو والانحطاط، بين الاستنارة والانغماس، إذ تنعكس في حالته الروحية معالم الطريق الذي يسلكه صاحبه. فمنه تنبثق أنوار اليقين، أو تسكن فيه ظلمات الشك، وهو مستودع الحقيقة لمن زكّاه، ومكمن الغواية لمن أفسده. ولذلك، انقسمت القلوب في الوحي إلى حالات متمايزة، تُجسد مدارج الرقي والانحدار في سلم الوجود الإنساني.

أولا: القلوب الطاهرة: معارج النور واليقين:

١- القلب السليم: هو ذلك الذي نجا من دنس الشرك والريب، وأشرق

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٢، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم ١٩٣

بنور التوحيد الخالص، فلم يداخله شكٌّ في وحدانية الله ولا في البعث، كما قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١].

٢- القلب المنيب: هو القلب العائد إلى ربه بعد طول غفلة، المستسلم لأمره، الخاضع لجلاله، الذي لم يركن إلى ذنوبه، بل تداركته رحمة التوبة والإنابة، فقال الله تعالى ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[٢].

٣- القلب المطمئن: هو القلب الذي ألف ذكر الله، فوجد فيه سكينته، وارتقت روحه إلى مقام الطمأنينة الكاملة، حيث تتلاشى فيه الهواجس وتتبدد المخاوف، كما قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٣].

٤- القلب الخاشع: هو القلب الذي استسلم لجلال الله، فخشع لذكره، وخضع لآياته، فلا جمود في أقطاره، ولا استكبار في جنباته، وإنما هو رقيق لينٌ أمام الحق، إذ قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٤].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٩

(٢) سورة ق: الآية ٣٣

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٨

(٤) سورة الحديد: الآية ١٦

٥- القلب الوجل: هو القلب المغمور بالمهابة والخوف، فلا يركن إلى عمله، بل يظل متوجسًا من يوم الحساب، إذ قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[١].

٦- القلب الثابت: هو القلب الذي لم تزعزعه الفتن، ولم تنل منه الأزمات، فهو قائم على يقينه، مستقر على توحيده، يرسخ كما ترسخ الجبال أمام رياح الشبهات، كما قال تعالى ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[٢].

٧- القلب اللين. وهو القلب الذي يلين لذكر الله قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣].

٨- القلب الرحيم الرؤوف. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[٤].

٩- القلب الساكن. هو القلب الذي من الله عليه بالسكون والطمأنينة

---

(١) سورة الانفال: الآية ٢

(٢) سورة هود: الآية ١٢٠

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٣

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٧

عند نزول المحن المقلقة. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

١٠- القلب المخبِت. هو القلب الخاضع المستسلم المتذلل لله وحده. قال تعالى ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾(٢).

ثانيا: القلوب المريضة: الغواية والانحراف:

وفي مقابل هذه القلوب الطاهرة، تتجلّى القلوب المريضة التي سقطت في دركات الظلام، حيث تحولت إلى بؤر للشك والضلال وأنواع هذه القلوب هي:

١- القلب المريض: هو القلب الذي تخلله الشك، واعتلّ بالمعاصي، فصار مرتعًا للريبة والتذبذب، قال الله تعالى ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾(٣).

٢- القلب اللاهي: هو القلب الذي انشغل بالهوى، وأعرض عن آيات

(١) سورة الفتح: الآية ٤

(٢) سورة الحج: الآية ٥٤

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠

الله، فهو متلهٍّ بما لا ينفع، غافل عن العبرة، كما قال الله تعالى ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[١].

٣- القلب المختوم عليه: هو القلب الذي تراكمت عليه الذنوب حتى أغلقت منافذ النور عنه، فطُبع عليه، ولم يعد يرى الحق، إذ قال الله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٢].

٤- القلب المطبوع عليه: هو القلب الذي حُكم عليه بالصدّ عن الهداية بعد أن أدمن الانحراف، فأُغلق عليه بالشهوات، ولم يعد يبصر طريق الحق، كما قال تعالى ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٣].

٥- القلب المغلّف: هو القلب الذي أحاطته طبقات الكفر والعناد، فلا تخترقه الموعظة، ولا يصل إليه النور، كما قال تعالى ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[٤].

٦- القلب الصدئ: هو الذي تراكمت عليه أدران المعاصي حتى أطفئ نوره، فلم يعد يميز الحق، كما قال الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣

(٢) سورة البقرة: الآية ٧

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٠٠

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٨

يَكْسِبُونَ ﴾[١].

٧- القلب الأعمى: هو القلب الذي فقد بصيرته، فلم يعد يرى آيات الله، وإن كانت واضحة أمام عينيه، فهو غارق في غمرات الجهل، كما قال تعالى ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[٢].

٨- القلب القاسي: هو الذي استحال صخرًا، فلا يلين لذكر الله، كما قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[٣].

٩- القلب المرتاب: هو الذي غُرس فيه الشك، فلا يستقر على يقين، بل يتقلب في بحر الحيرة، كما قال الله تعالى ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾[٤].

١٠- القلب المنكر هو القلب الذي أنكر الحق وعاند الدليل، فلم يتقبّل الهدى، ولم يستسلم للنور، كما قال الله تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ

(١) سورة المطففين: الآية ١٤

(٢) سورة الحج: الآية٤٦

(٣) سورة البقرة: الآية ٧٤

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٠

قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾[١].

١١- القلب الغافل هو القلب الذي تبلّدت مشاعره أمام آيات الله، فلم يعد يتأملها، ولم يتحرك بها، كما قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾[٢].

١٢- القلب الحاقد هو القلب الذي امتلأ بالغِلّ والكراهية، وعاش أسير الأحقاد، حتى نزعت منه الرحمة، كما قال الله تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[٣].

١٣- القلب المنافق هو القلب الذي يظهر ما لا يبطن، فيُظهر الإيمان وداخله موبوء بالكفر والخداع، كما قال الله تعالى ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[٤].

(١) سورة النحل: الآية ٢٢

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨

(٣) سورة الأعراف: الآية ٤٣

(٤) سورة التوبة: الآية ٧٧

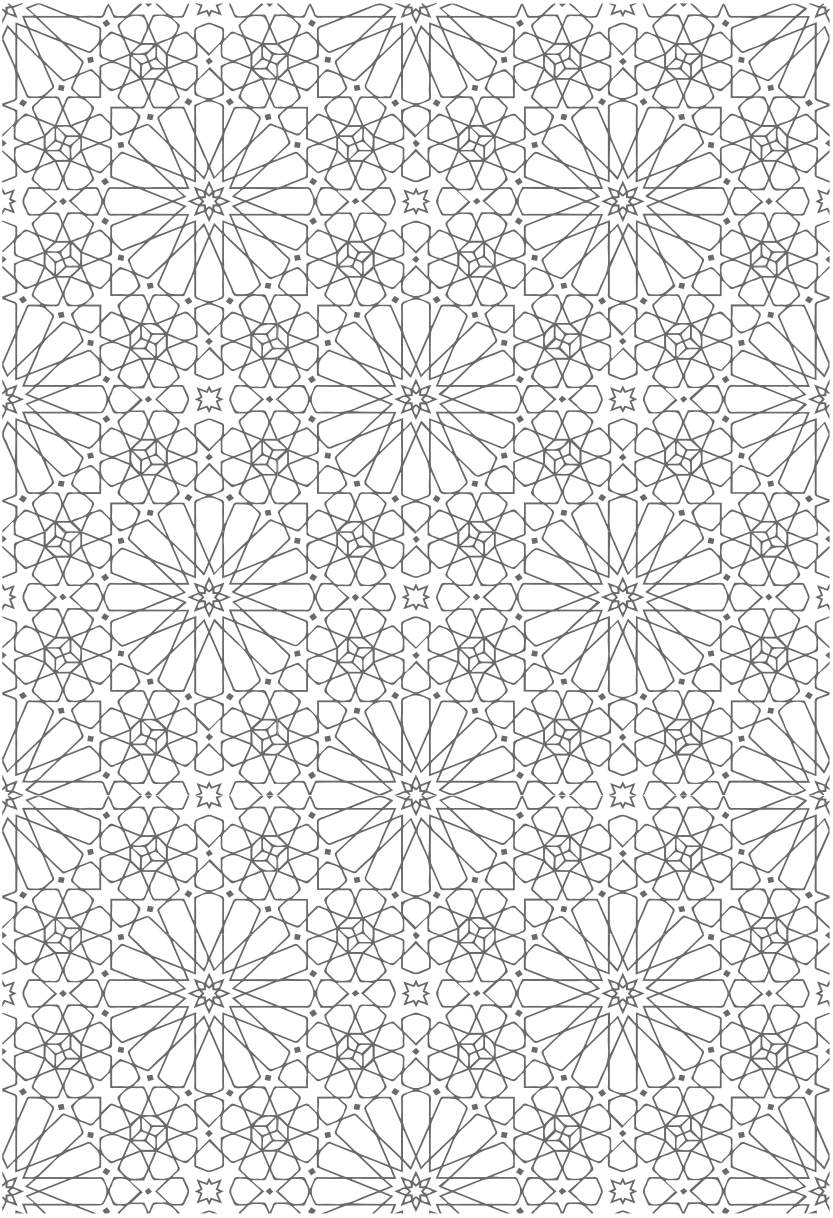

المبحث الثاني

جغرافيا القلوب - تشبيه تضاريسي ودلالاته

إن القلوب، تتفاوت في صفائها، واستجابتها للحق، وتأثرها بالفتن، ويمكن تشبيه هذه القلوب بالتضاريس الطبيعية التي تتباين في خصائصها، فمنها الأرض الخصبة التي تنبت الخير، ومنها الصحاري القاحلة التي لا تمسك ماءً ولا تنبت زرعًا، ومنها الأودية المنخفضة التي تتجمع فيها المياه الآسنة، ومنها المناطق المتقلبة التي تتأرجح بين الخصب والجفاف بحسب المؤثرات المحيطة بها. وفي هذا المبحث، نستعرض العلاقة بين الطاعات وتخصيب القلب، ونناقش كيف تكون القلوب طريقًا للهداية أو حواجز تحجب النور. فعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ (القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج بزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافة، وقلب منكوس، وقلب مصفح)[1] ولكل نوع خصلة كما هي الأرض:

---

(١) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد ص ٥٠٤ باب فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ حديث

=

١- القلب الاجرد - القمم المضيئة:

قلب المؤمن. يشبه هذا القلب قمم الجبال الشاهقة التي تتلقى أشعة الشمس أولًا، أو السهول الخصبة التي تستقبل المطر فتثمر خيرًا. إنه القلب الذي تنساب إليه أنوار الحق دون عوائق، فيمتلئ بالإيمان الصافي، فلا تعيقه شهوة ولا تحجبه شبهة. فهو كنهر جارٍ يغذي من حوله، وكالأرض الطيبة التي تنبت نباتها بإذن ربها، تستقبل الوحي فتثمر يقينًا وأخلاقًا وأعمالًا صالحة.

٢- القلب الاغلف - الصخور الصماء:

قلب الكافر. هذا القلب يشبه الصحاري القاحلة التي لا تحفظ الماء ولا تنبت الزرع، أو الصخور الصماء التي لا ينفذ إليها شيء. إنه القلب الذي

= رقم ١٤٣٩، وأبو نعيم الاصبهاني في حلية الاولياء ١/ ٢٧٦، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص٢٧ حديث رقم ٥٤، واحمد في كتاب السنة ص ٢٧٧ حديث رقم ٨٢٠، ذكره ابن القيم في كتابه الكلام على مسالة السماع ١/ ٩٨ واغاثة اللهفان ١/ ١٢، وذكره ابن تيمية موقوفًا على حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعزاه إلى أبي داود السجستاني وذكر إسناده، ثم قال: وقد روي مرفوعًا، وهو في المسند مرفوعًا. كتاب الإيمان لابن تيمية، ص٢٨٨، وقال الألباني: حديث موقوف صحيح، السلسلة الضعيفة ١١/ ٢٦٤ حديث رقم ٥١٥٨

حجبه غلاف كثيف من الغفلة والكفر، فلا يستقبل نور الهداية، ولا يتفاعل مع الوحي. تمامًا كالأرض المالحة التي ينزل عليها المطر لكنها لا تنتفع به، فتبقى جرداء قاسية.

٣- القلب المنكوس - الوديان المظلمة:

قلب المنافق. يشبه هذا القلب الوادي العميق الذي تتجمع فيه المياه الفاسدة، أو المستنقعات الراكدة التي تفوح منها الروائح الكريهة. فهو قلب المنافق، الذي كان في الأصل مؤهلًا لاستقبال النور لكنه انقلب رأسًا على عقب، فبدلًا من أن يعكس ضوء الإيمان، أصبح يعكس ظلمة النفاق والشك. إنه يشبه الأرض التي كانت صالحة للزراعة، لكنها امتلأت بالشوائب فأصبحت موطنًا للفساد لا للخير.

٤- القلب المصفح - الكثبان الرملية:

يشبه هذا القلب الكثبان الرملية التي لا تثبت على حال، تتحرك مع اتجاه الرياح، فتارة تتراكم فتبدو وكأنها جبل، وتارة تتبعثر فتختفي مع أدنى هبوب للريح. فهو قلب متقلب بين الإيمان والنفاق، لا يستقر على حقيقة ثابتة، بل تميل به الأهواء كما تميل الرياح بالكثبان، فإذا هبّت عليه رياح الهداية ازداد قربًا من الحق، وإذا عصفت به رياح الشهوات والشبهات انزاح عن طريق

الاستقامة. وكما أن الكثبان لا تصلح أساسًا لبناء متين، فإن هذا القلب لا يمكنه الثبات على منهج واضح حتى يحسم أمره ويثبت على الإيمان الصادق.

تضاريس رحبة في معالم الطريق:

الخشوع – الوهاد الرطبة: هو تلك اللحظة التي تتهاوى فيها الحواجز الصلبة بين القلب ونور الهداية، كما تذوب الصخور تحت قوة السيل الجارف. قال الله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1].

عندما يرتوي القلب بماء الهداية، يعود حيًا نابضًا، ويُثمر بالإيمان، كما تزدهر المروج بعد طول جدب. يتحرك القلب بنبض الخشوع، كما تتحرك الأرض تحت أنفاس الربيع الأولى، فتُظهر من أعماقها ما كان خفيًا، وتتحول إلى تربة خصبة تمتلئ بالسكينة والطمأنينة.

الذكر – النهر الجاري: في أعماق القلب، يغسل رواسب الغفلة، ويروي جذور الإيمان العميقة. قال الله تعالى ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[2].

الذكر لا يعرف التوقف، بل يتغلغل برفق بين صخور القسوة، يفتح

(١) سورة الحديد: الآية ١٦

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٢

مسارات جديدة للإيمان، ويترك أثرًا من النور كلما جرى في أعماق القلب.

التقوى – القمة الشامخة: هي النجد الذي يعلو القمة، بعيدًا عن سيول الغفلة ورياح الفتن. قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

التقوى تحفظ القلب ثابتًا على الحق، وتوجه خيره نحو أعمال طيبة تُرفع إلى الله، كما تحفظ الذرى مياه الخير لتغذي وديانها. هي ليست مجرد وصف، بل حياة نابضة تجعل القلب واحةً ترتوي بنور الهداية، فتثمر طاعةً وإحسانًا، وترتفع بصاحبها إلى قمم الإخبات.

تضاريس وعرة في معالم الطريق:

القسوة – الصحراء القاحلة: جفّت ينابيعها، فلا ماء يرويها، ولا حياة تدبّ فيها. قال الله تعالى ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

إنها قلوب تحجّرت حتى جاوزت الصخر في صلابته، فلا تنفذ إليها أنوار الهداية، ولا تلامسها رطوبة الإيمان. حجبتها غشاوة المعاصي، وطمرها غبار الغفلة، حتى غدت كالأرض اليباب، لا تستجيب للغيث ولا تورق

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣

(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٣

بالخير. إنها أرواح أسيرة لصمتها القاتم، لا يتردد في جنباتها إلا الفراغ، ولا تحييها إلا نفحة من رحمة الله، تعيد إليها نبض الحياة بعد طول جدب.

الغفلة – الأرض المهجورة: التي فقدت الاتصال بمصدر الحياة. قال الله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1]. وعيد مهيب لمن أعرض عن ذكر الله وأغلق قلبه عن هداه. القلوب الغافلة تُشبه الأراضي المتصدعة التي لا تحفظ ماء الإيمان ولا تنبت بذور الطاعة. إنها كتربة مالحة لا تقبل غيث الرحمة مهما تساقط عليها، تظل عقيمة لا تزهر ولا تثمر. هذه القلوب انغلقت على نفسها كالأخدود المظلم الذي حجبت عنه الشمس، فلا نور يدخلها ولا حياة تنبعث منها.

الزيغ– السيل الجارف: الذي يجتاح القلب ويحرفه عن مساره. قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[2] القلوب التي تزيغ عن طريق الحق تتحول إلى شعاب وعرة، تملؤها الانحناءات والعثرات، أو إلى حفر عميقة تبتلع كل بصيص من نور الهداية. الزيغ ليس مجرد انحراف عابر، بل حالة متجذرة كالسبخة التي فسد باطنها، فلم تعد تقبل غيثًا ولا تُثمر خيرًا. هي

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢

(٢) سورة الصف: الآية ٥

قلوب تائهة بين ضفاف المعاصي وتصدعات الغفلة، كالكثبان الرملية التي تذروها الرياح بلا ثبات.

بين الاستقامة والانحراف:

يتأرجح القلب بين طريقين متقابلين: الاستقامة، حيث يكون مُهيَّأً لاستقبال النور، والانحراف، حيث يُصبح متاهةً مغلقةً أمام الحقيقة. فهو ليس كيانًا جامدًا، بل جوهرٌ متفاعل، يشفّ حين يتصل بالهدى، ويتكدّر حين تغشاه ظلال الهوى. فكما تتفتح الأرض للغيث فتزهر، فإن القلب المستقيم هو امتدادٌ لنظام الحق في اتزانه، يتماهى مع مقاصد الوجود، فيكون مهيَّأً لقبول الخير، منتعشًا بالمعرفة، ثابتًا في وجه الفتن. أما القلب المنحرف، فهو كيانٌ متصلّب، ينغلق على ذاته، فينعزل عن النور كما تنفصل الأرض القاحلة عن المطر، فلا يعود يستقبل إشعاع الهداية، بل يغرق في ظلمة الغفلة والتعلق بالدنيا.

وقد شبّه النبي ﷺ هذه التغيرات المتراكمة في القلب بتأثير الفتن عليه، فقال: (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ؛ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا؛ كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ

مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهِ)[١] لكن الانحراف لا يحدث فجأةً، بل هو ثمرة تراكمات تهوي بالقلب من النور إلى الظلام. فمن أعظم أسباب القسوة مخالطة أهل الفساد، إذ إن العيش في بيئة ملوّثة بالأهواء يميت الحسّ الإيماني، ويجعل القلب يعتاد ما يرى حتى يفقد استنكاره له، فتصبح المعصية مألوفة لديه، وينطفئ شعوره بالذنب. ومن الأسباب كذلك الافتتان بزخرف الدنيا، حيث ينشغل الإنسان باللهو والملذات، فتتكلّس روحه، وتتعلق بالمظاهر الفانية، حتى يصبح قلبه غافلًا عن ذكر الله، فاقدًا للبصيرة، محجوبًا عن إشارات الهداية[٢].

الهداية ليست وحيًا يُلقى في الفراغ، بل نورٌ يبحث عن قلبٍ مُهيّأ لاستقباله. فالقلوب المنفتحة تحتاج همسةً لتُبصر، بينما القلوب المغلقة لا تستفيق إلا بعد أن تهزّها زلازل القدر. فالقلب ليس مجرد عابرٍ في الطريق، بل هو الطريق ذاته؛ إن استقام، كان دربًا ممهدًا للنور، وإن انحرف، صار سرابًا لا يقود إلا إلى التيه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٢٨، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا حديث، رقم ١٤٤

(٢) ينظر: الشنقيطي دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي ٤/ ٨-٩

تطهير القلوب من القسوة:

إذا كانت قسوة القلب حالة من الجمود الروحي والتصلّب أمام معاني الإيمان، فإن التخلص منها يتطلب استعادة اللين الداخلي والانفتاح على النور، تمامًا كما تحتاج الأرض القاحلة إلى اشعة الشمس والغيث لتعود إليها الحياة. فالقلب القاسي لا يُشفى بمجرد التمنّي، بل لا بد من سُبل تعيد إليه رقّته، وتُذيب عنه الصدأ الذي راكمته الذنوب والغفلة.

أول هذه السبل هو التفاعل الحيّ مع القرآن الكريم، تلاوةً وتدبرًا، لا كألفاظ تُردد، بل كنورٍ يُستضاء به. فالقرآن هو الغيث الذي يُنعش القلب، وهو صوت الحق الذي يُحرك مكامن الإحساس، كما قال تعالى ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1].

ومن الوسائل الفعالة أيضًا إدمان ذكر الله تعالى، فالغفلة كالجفاف الذي يشقق أرض القلب، والذكر كالمطر الذي يتسلل إليه فيُعيد إليه نبضه. فكلما غرق الإنسان في الغفلة، ازدادت قسوة قلبه، وكلما أكثر من ذكر الله، ذابت هذه القسوة، وانجلى عنه الران. ومِمَّا يؤثِّرُ في إصلاح القلب الحرصَ على

(١) سورة الإسراء، آية:١٠٧-١٠٩

الخَلْوةِ في أوقاتٍ يُحاسبُ المرء فيها نفسَه، ويتقرَّبُ فيها إلى ربِّه بذِكرٍ ودُعاءٍ وصلاة؛ يقول شيخ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا بدّ للعبد من لحظات يخلو فيها بنفسه، فيناجي ربه بالدعاء، ويغمر قلبه بذكره، ويقيم صلاته بخشوع، ويتأمل في حاله، فيحاسب نفسه، ويجتهد في إصلاح قلبه، ويعتني بشؤونه الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد. فهذه اللحظات تستلزم العزلة الاختيارية، سواء أكانت في بيته، كما قال طاووس: «نِعْمَ صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ بَيْتُهُ، يَكُفُّ فِيهَا بَصَرَهُ وَلِسَانَهُ»، أو في موضع آخر يجد فيه صفاء روحه وراحة قلبه[1].

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٢٦

المبحث الثالث

معالم الطريق لإصلاح القلوب والارتقاء بالأرواح

بعد أن استعرضنا طبيعة القلوب وتقلباتها بين النقاء والتصلب، وبين الهدى والتيه، يأتي هذا المبحث ليرسم المعابر الآمنة نحو إصلاح القلوب وتهذيبها، حيث تتطلب إعادة إحياء القلب رحلةً متكاملة، تشمل تطهيره من أدران الذنوب، وإرواءه بمصادر النور، وتحصينه بمقومات الثبات، وإحاطته بأجواء تعزز استقامته. فالقلوب بطبيعتها متغيرة، لكنها قابلة للصقل والتوجيه، متى سلكت السبل الصحيحة لاستعادة صفائها. ومن هنا، يمكن تحديد أربعة ركائز أساسية تشكّل دعائم تزكية القلب وسموّه، وهي: التوبة، والتغذي بالقرآن والذكر، والتأثر بالبيئة الصالحة، والتقوى كحارس دائم لقلب الإنسان.

التوبة – الغيث الذي يحيي الأرض:

القلب، مهما ران عليه من ظلمة الذنوب، يظل قابلًا للتجدد متى أقبل على التوبة الصادقة، التي تعيد إليه نقاءه المفقود. فالتوبة ليست مجرد تخلي

عن معصية، بل هي عودة إلى الله بحسّ صادق واستعداد لاستقبال النور من جديد، وهي الخطوة الأولى في كل رحلة إصلاح وقد أشار القرآن إلى أن القلب السليم هو الذي ظلّ طاهرًا من العلل الروحية، أو تطهّر منها بالتوبة، فقال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١]. وهو مَحلَّ نَظَرِ الربِّ تبارك تعالى؛ فعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال (إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم)[٢] وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال (إنَّ الإيمانَ ليخلَقُ -أي يبلى- في جوفِ أحدِكم كما يخلَقُ الثَّوبُ، فسَلُوا اللهَ تعالى أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم[٣].

فكما تُطهّر المياه الجارية الأرض من الأدران، فإن التوبة تزيل عن القلب أكدار الغفلة، وتحرره من قيود المعاصي، ليتنفس النقاء من جديد. فمن أراد لقلبه حياةً متجددة، عليه أن يجعل التوبة عادةً يوميةً، بالاستغفار والإنابة.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٩

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٧، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، حديث رقم ٢٥٦٤

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣/ ٣٦، باب العين، حديث رقم ٨٤

القرآن والسنة - نبع الحياة الدائم:

القلوب التي لا تتغذى بالقرآن وذكر الله تصاب بالذبول الروحي، فهي كأرضٍ انقطعت عنها موارد الحياة، فذبلت فيها معاني الإيمان. أما إذا انهمرت عليها آيات الذكر، فإنها تنبض بالحياة، وتعود إليها بهجة الطمأنينة وقد جعل الله القرآن دواءً لكل أمراض القلوب، فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[1] وهنا يأتي القرآن ليكون المُطهِّر لهذه العلل، والمُزيل لهذه الآفات، بما يحمله من مواعظ توقظ الغافلين، وزواجر تردع التائهين، وتخويف يردع النفوس عن الانحراف، وترغيب يُحيي الأمل في القلوب، وتحذير يُبصرها بمزالق الطريق إنه النور الذي يبدد ظلام الشك، والماء الذي يغسل أدران القلوب، والميزان الذي يعيد للإنسان اتزانه الروحي، فمن جعل القرآن زاده، سلم قلبه من علله، وأبصر دربه وسط المتغيرات والمتاهات[2]. وعَنْ جُنْدُب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)[3].

---

(١) سورة يونس: الآية ٥٧

(٢) ينظر: الخطيب الشربيني، السراج المنير، ٢/ ٢٥

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٩٨ كتاب فضائل القرآن باب اقرءوا القرآن حديث رقم ٥٠٦٠

الصحبة الصالحة - الأرض الخصبة:

القلوب، مهما كانت صلبة، تتأثر بمن يحيط بها، إذ إن المجتمع الذي يتحرك فيه الإنسان هو المناخ الذي يغذي قلبه أو يفسده. فإذا كانت الصحبة مفعمةً بالإيمان، زاد صفاء القلب، وإذا أحاطته بيئة فاسدة، اكتسب من طباعها، ومال إلى القسوة أو الغفلة قال الله تعالى ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] في يوم القيامة، يتحول حال المختالين على المعاصي والفساد إلى عداوة، إذ يتبرأ كل منهم من الآخر، وهذا مصير من تعاونوا على العصيان، إلا (الْمُتَّقِينَ)، الذين ربطتهم خلة في طاعة الله ومحبته، الخلة الخيرية، قال القاشاني: هي التي تكون في الله ولأجله، تتجلى في المحبة الروحانية النقية من الأغراض الدنيوية[2].

ولقد أكّد النبي ﷺ هذا المبدأ بقوله (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[3] فالإنسان انعكاس لمن يُحيط به، وينسجم مع مناخ بيئته. ومن أراد لقلبه أن يحيا في أجواء النور، فليحرص على مرافقة أهل القلوب النقية، الذين يذكّرونه بالله، ويعينونه على الثبات، وليبتعد عن

(١) سورة الزخرف: الآية ٦٧

(٢) القاسمي، محاسن التأويل ٣/ ٣٩٨

(٣) أخرجه الترمذي ٤/ ١٨٧ أبواب ازهد عن رسول الله ﷺ حديث رقم ٢٣٧٨

الصحبة التي تبعده عن مقاصده الروحية، وتستدرجه إلى متاهات الغفلة. فالقلوب تتشكل كما تتشكل المعادن، فمن عاش بين الألماس، تشبّع بالنقاء، ومن عاش بين الحديد الصدئ، كسا قلبه الصدأ نفسه.

ولهذا خاطب الله تعالى نبيه ﷺ، فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[1] والمعنى: عليك – أيها الرسول الكريم – أن تحبس نفسك وتعودها على مجالسة أصحابك الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، أي: يعبدونه ويتقربون إليه بشتى أنواع القربات، في الصباح والمساء، ويداومون على ذلك، دون أن يريدوا شيئًا من وراء هذه العبادة، سوى رضا الله تعالى عنهم ورحمته بهم[2].

العلم والبصيرة - المياه العذبة:

ليس العلم زخرفًا للعقل، ولا تكديسًا للمعلومات، بل هو الوقود الذي يُنير مسارات القلب، ويرسم له حدوده بين الرشاد والتيه. فكما أن الأرض لا تُثمر إلا إذا تشبّعت بالماء، فإن القلب لا يزكو إلا إذا ارتوى بمعرفةٍ تُحييه،

(١) سورة الكهف: الآية٢٨

(٢) الطنطاوي، تفسير الطنطاوي ٨/ ٥٠٧ – ٥٠٨

ووعيٍ يحفظه من التخبط في ظلمات الجهل والهوى.

إن العلم الذي لا يوقظ القلب، ولا يعمّق الإحساس بالمسؤولية، ولا يورث انكسارًا أمام الحق، ليس إلا ظلاً خادعًا لصاحبه. فقد يحفظ المرء آلاف المسائل، لكن قلبه يظل موصدًا عن الهداية، إذ لم يكن علمه سببًا في يقظته، ولا بوصلةً في مسيره. ولهذا قيل: «العلم بلا عملٍ وبالٌ، والعمل بلا علمٍ ضلالٌ»، فكما أن البدن لا يستقيم إلا بتوازن الغذاء، فإن القلب لا يستضيء إلا بمزج المعرفة بالعمل، والتأمل بالإخلاص[١].

فالحذر الحذر من علمٍ يُكدّس في العقل ولا ينفذ الى الفؤاد، ومن عدم العمل به، ومن معرفةٍ لا تؤدي إلى خشيةٍ صادقة، ولا تُثمر عملاً مستقيمًا. فإن العلم إما أن يكون سراجًا يضيء القلب، وإما أن يكون ظلاً زائفًا، يوهم صاحبه بأنه مبصرٌ وهو في عمق الظلام. قَال سُفْيَانُ الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: إِنْ أَنَا عَمِلْتُ بِمَا أَعْلَمُ فَأَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمَا أَعْلَمُ فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ أَجْهَلَ مِنِّي[٢] وقد اشار الشيخ محمد رشيد رضا إلى أن كثيراً ممن

(١) ينظر: الغزالي، منهاج العابدين، ص ٤٤-٤٥

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وادب السامع،١/ ١٩٠، باب النية في طلب الحديث، حديث رقم ٣٣

ينتسب إلى القرآن هم على هذه الصفة التي حذر منها الله ورسوله ﷺ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد كان القوم يؤمنون بالشريعة في الجملة، وكما تعطيه ظواهر الألفاظ ولكنهم لم يلبسوها مفصلة تفصيلاً، ولم يفقهوا حكمها وأسرارها، فلم يكن لها سلطان على قلوبهم، ولم تكن هي المحركة لإرادتهم في أعمالهم، وإنما كان يحركها الهوى والشهوة، ويصرفها عامل اللذة. فالإيمان إنما كان عندهم قولاً باللسان، ورسماً بلوح في الخيال تكذبه الأعمال، وتطمه السجايا الراسخة والخلال: وهذا هو الإيمان الذي لا قيمة له عند الله تعالى. ومن العجيب أن ترى آيات القرآن تبطله بالحجج القيمة، والأساليب المؤثرة، وأهل القرآن عن ذلك غافلون، فقليلاً ما يعتبرون ويتذكرون[1].

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار ١/ ٣١٣

محطة الوصول

القلوب المطمئنة - القمم الشامخة:

الطمأنينة، الغاية العظمى التي يصل إليها القلب، هي علامة رضا الله تعالى على عبده. والقلب المطمئن هو الذي استقر في بحيرة الإيمان الآمنة، فلا تهزه رياح الهوى ولا تغرقه أمواج الفتن العاتية. قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1] القمم الشامخة: ليست مجرد مرتفعات جغرافية، بل هي رمزية لعلو الهمة وسمو الروح ورفعة الإيمان. فالقلوب التي تسعى للوصول إلى هذه القمم تمر برحلة شاقة لكنها ممتعة، تبدأ من وديان الغفلة والضعف، صعودًا عبر منحدرات التوبة والاستغفار، حتى تبلغ ذرى الطمأنينة والاستقرار. وما يميز هذه القمم أنها ملاذ آمن من زوابع الفتن وعواصف الشهوات، لا يبلغها إلا من تسلح بزاد الإيمان، وارتوى من معين الذكر.

إن الاتصال بالله تعالى هو الغيث الذي يروي الأرض العطشى، فتتحول

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨

من قحط القسوة إلى خصوبة الطاعة، ومن صقيع الغفلة إلى دفء اليقين. وكما أن القمم الشامخة تجمع حولها الغيوم وتستدر المطر، فإن القلوب المطمئنة تجمع حولها خيرات الطاعات، وتفيض على من حولها بالمحبة والنور.

القمة الشامخة: هي القلب الذي لا تهزه المحن، ولا تضعفه الفتن، بل يظل ثابتًا، متصلًا بربه، مخبتا اليه، مستمدًا منه القوة والسكينة. يقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] إنه مقام منيع لا تصله القلوب المعلقة بالدنيا، بل تحظى به القلوب التي سمت إلى آفاق الإيمان الرحبة، وارتفعت فوق شوائب الماديات، فكانت كقمم الجبال التي لا تصل إليها السيول الجارفة، ولا تعبث بها الرياح العاتية.

(١) سورة الحج: الآية ٣٤ - ٣٥

رسائل نبوية

القلب - الميزان الخفي للإنسان:

تقلبات القلوب. قال النبي ﷺ: (لَقلبُ ابن آدمَ أشدُّ انقلابًا من القِدر إذا اجتمَعت غَلْيًا)[1] فالقلب ميدان صراع دائم بين دعوة الملَك وإغواء الشيطان. والعبرة ليست بحال الإنسان الآن، بل بخاتمته، إذ القلوب شديدة التقلب، مما يستوجب الحذر واللجوء إلى الله تعالى. لذا كان الصحابة يتحرزون من الحكم على الآخرين، لخوفهم من هذا التقلب.

حزن القلب. اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَلَمَّا دَخَلَ عليه وَجَدَهُ في غَشِيَّةٍ، فَقالَ (أَقَدْ قَضَى؟ قالوا: لَا، يا رَسولَ اللهِ، فَبَكَى رَسولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ رَسولِ اللهِ ﷺ بَكَوْا (أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا. وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، أَو يَرْحَمُ)[2] والحديث فيه إثبات حزن القلب، وأنه سبب

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩/ ٢٣٩ حديث رقم ٢٣٨١٦

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٦٣٦ كتاب الجنائز باب البكاء على الميت حديث رقم ٩٢٤

دمع العين، وأن المصائب مما تحزنه.

جزَع القلب. قال رسول الله ﷺ: (أَمَّا بَعْدُ، فَوَ اللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ)[1] وفي الحديث بيان لتَفاوُت الإيمان في القُلوب، وأنه يَزيد ويَنقص.

موت القلب. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ) [2] اي: تَحلَى بخلُق الوَرَعِ: هو اجتِناب الشبهات؛ خوفا من الوقوع في المحرمات، لأنها تميت القلب، فتكن من أعبدِ الناسِ.

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ١٠ كتاب الجمعة باب من قال بعد الخطبة الجمعة بعد الثناء أما بعد حديث رقم ٩٢٣

(٢) اخرجه الترمذي ٤/ ١٤٠ أبواب الزهد عن رسول الله باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس حديث رقم ٢٣٠٥

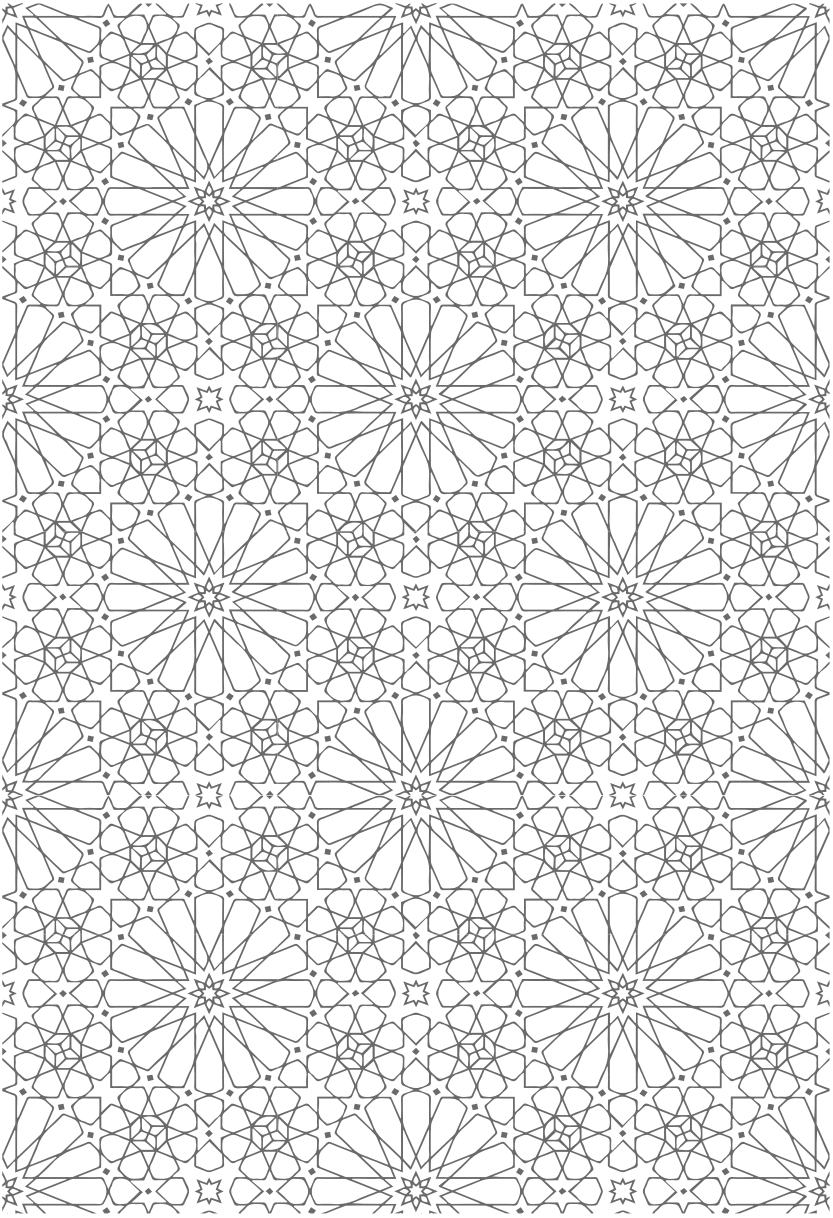

الخاتمة

القلوب كالأرض، تتنوع تضاريسها بين الصلابة والهشاشة، بين الخصب والجفاف، بين الاستقرار والتقلب. فمنها ما هو كالجبل الراسخ، ثابت أمام العواصف، ومنها ما هو كالرمال المتحركة، تتقلب مع أدنى ريح، ومنها ما يشبه الوديان الخصبة التي تستقبل ماء الهداية فتنبت الخير، ومنها ما هو كالأرض القاحلة التي لا تمسك ماءً ولا تنبت زرعًا.

وقد أظهرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حقيقة القلوب وتقلبها، فبعضها مخموم نقي، طاهر من الشوائب، وبعضها ضعيف سريع الانجراف، وبعضها قاسٍ كالصخور لا يتأثر، وبعضها تتنازعه قوى الخير والشر، يتردد بين النور والظلام، حتى يُحسم أمره بخاتمته.

إن القلب هو محل المعركة الكبرى، حيث تتجاذبه الملائكة والشياطين، فإذا غلبت عليه هداية الله ثبت على الحق، وإذا استسلم للفتن تاه في الظلمات. والعاقل من يتأمل خريطة قلبه، فينظر أي أرض يمثل، ثم يسعى

في إصلاحها، فيرويها بالإيمان، ويحصّنها من عوامل التعرية الروحية، حتى يكون من القلوب التي يثبتها الله على الحق.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أَفضَلُ؟ قالَ (كلُّ مخْمومِ القلبِ، صدُوق اللسانِ. قالُوا: صدُوقُ اللِّسَانِ نعرفُه، فما مخمومُ القلبِ؟ قال: هو التقيُّ النقيُّ، لا إِثمَ فِيه، ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ، ولا حَسَدَ) (١).

فاللهم يا مقلّب القلوب، ثبّت قلوبنا على دينك، ويا مصرّف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك، واجعلها عامرة بالإيمان، ثابتة أمام الفتن، مستقيمة على طريق الهدى..

النتائج:

١- القلوب تتباين بين النقاء والكدَر، والاستنارة والانطماس، وفقًا لما يُغرس فيها من الطاعات أو يُراكم عليها من المعاصي، فهي إما مستودعٌ للنور، وإما سجنٌ للغفلة.

٢- الطاعات ليست مجرد أعمالٍ ظاهرية، بل هي شريان الحياة القلبية، تُزكي الروح، وتعيد للقلب صفاءه، بينما الذنوب تُراكم الحُجُب حتى

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٤٩، فصل حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه، حديث رقم ٤٤٦٢

تحجب عنه إشعاع الهداية.

٣- القلب ليس مجرد عضوٍ نابضٍ بالحياة، بل هو ميزان الإنسان في الدنيا، وحجته في الآخرة، فبقدر نقائه يكون مصيره، إذ لا ينفع يوم القيامة إلا قلبٌ سليم متخففٌ من أدران الدنيا.

التوصيات:

١- إحياء القلب بمنهج يومي يشمل القرآن والذكر والتفكر، لضمان صفائه وتجديد أنواره، فلا يترك الإنسان قلبه مهجورًا حتى لا تعصف به رياح القسوة.

٢- تصفية بيئة القلب من المؤثرات الملوثة، عبر اختيار الصحبة الصالحة، وتهذيب المناخ الروحي المحيط، ليكون القلب في واحةٍ إيمانية، لا صحراء جرداء.

٣- ترسيخ التقوى كحالة وجدانية دائمة، لا كفعلٍ لحظي، بحيث يكون القلب دائم الصلة بالله، متيقظًا أمام الفتن، محفوظًا من الانزلاق في دروب الغفلة.

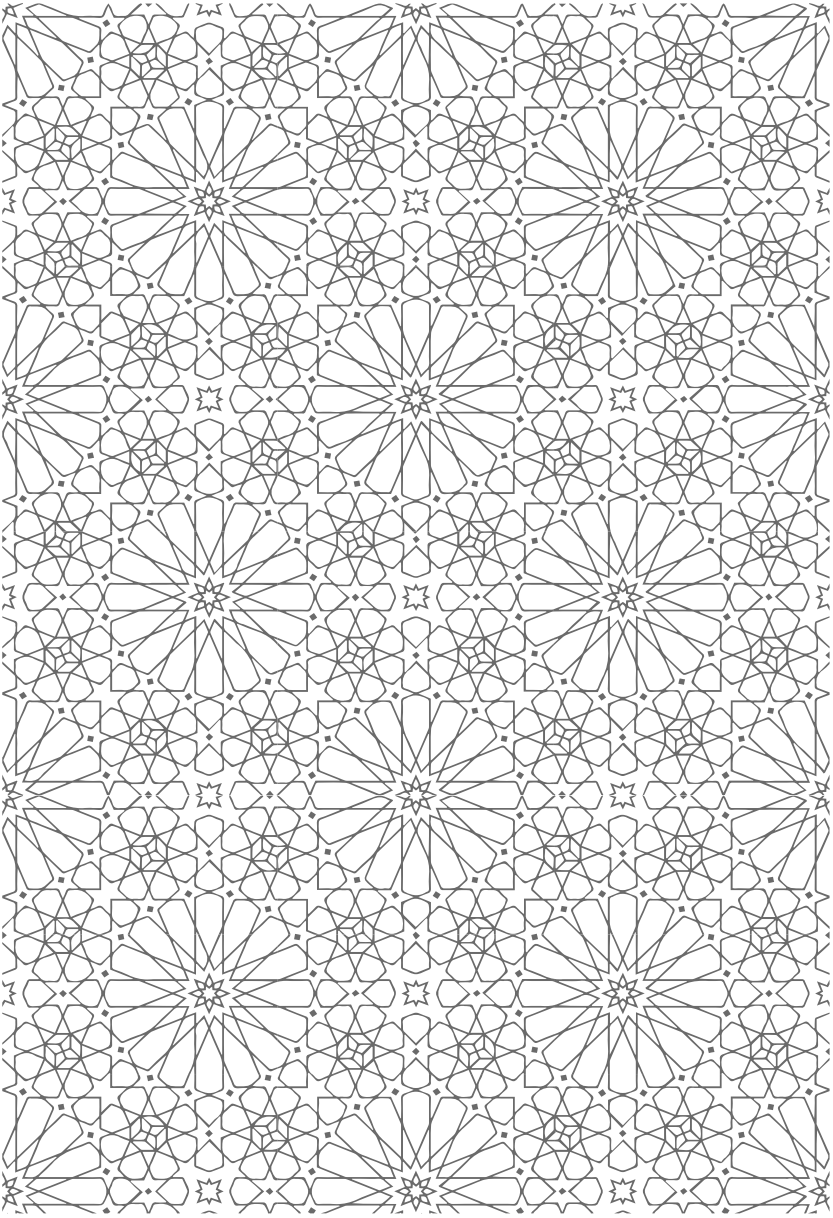

المراجع

القران الكريم

١- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (١٩٥ - ٢٣٥ هـ)، **كتاب الإيمان**، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ)، **كتاب الإيمان**، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، عمان - الأردن، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٣- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ)، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بمساعدة ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١ هـ)، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، تحقيق محمد حامد الفقي،

مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية

٥- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١ هـ)، **الفوائد**، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٦- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١ هـ)، **الكلام على مسألة السماع**، تحقيق محمد عزير شمس، مراجعة محمد أجمل الإصلاحي وعبد الرحمن بن حسن بن قائد، الطبعة الثالثة، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

٧- ابن حنبل، الإمام أحمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٨- ابن حنبل، الإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ)، **كتاب السنة**، تحقيق محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الطبعة الأولى، دار ابن القيم، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٩- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت ٧١١ هـ)، **لسان العرب**، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، الطبعة

الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ

١٠- ابن المبارك، عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١ هـ)، **الزهد والرقائق**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر محمد عفيف الزعبي

١١- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

١٢- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

١٣- الألباني، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠ هـ)، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

١٤- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، **شعب الإيمان**، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، بإشراف مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، الهند، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

١٥- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، **صحيح البخاري**،

تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر ١٣١١ هـ

١٦- الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦ م

١٧- الجرجاني، علي بن محمد الزين الشريف (ت ٨١٦ هـ)، **كتاب التعريفات**، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

١٨- الخطابي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ)، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض

١٩- الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، **دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي**، مصدر الكتاب: دروس صوتية مفرغة من موقع الشبكة الإسلامية

٢٠- الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة

٢١- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

٢٢- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت

٢٣- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **منهاج العابدين**، الطبعة الأولى، دار المنهاج، بيروت، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٢٤- المسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

٢٥- الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧ هـ)، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥ هـ

٢٦- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي

٢٧- رضا، محمد رشيد (ت ١٣٥٤ هـ)، **تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	١١
تساؤلات البحث.....	١٤
أهداف البحث	١٤
أهمية البحث.....	١٤
منهج البحث.....	١٥
المبحث الأول	
القلب في القرآن والسنة المفهوم والمكانة والأنواع	١٧
تعريف القلب في اللغة	١٨
مفهوم القلب في الاصطلاح الشرعي	١٩
تعريف القلب في الاصطلاح الطبي	١٩

الموضـــوع	الصفحة
القلب في القرآن الكريم: تضاريس الروح ومواطن البصيرة....	٢٠
القلب مركز الإدراك الحقيقي	٢٢
أولاً: مجال المعرفة والتصورات	٢٣
ثانيًا: مجال الإرادة والعزائم	٢٤
القلب في السنة النبوية	٢٥
أنواع القلوب في النصوص القرآنية.....	٢٧
أولا: القلوب الطاهرة: معارج النور واليقين	٢٧
ثانيا: القلوب المريضة: الغواية والانحراف.....	٣٠
المبحث الثاني	
جغرافيا القلوب - تشبيه تضاريسي ودلالاته	٣٥
١- القلب الاجرد - القمم المضيئة	٣٦
٢- القلب الاغلف - الصخور الصماء	٣٦
٣- القلب المنكوس - الوديان المظلمة.....	٣٧
٤- القلب المصفح - الكثبان الرملية.....	٣٧

الموضـــوع	الصفحة
تضاريس رحبة في معالم الطريق	٣٨
تضاريس وعرة في معالم الطريق	٣٩
بين الاستقامة والانحراف	٤١
تطهير القلوب من القسوة.....	٤٣
المبحث الثالث	
معالم الطريق لإصلاح القلوب والارتقاء بالأرواح	٤٥
التوبة – الغيث الذي يحيي الأرض	٤٥
القرآن والسنة – نبع الحياة الدائم.....	٤٧
الصحبة الصالحة – الأرض الخصبة.....	٤٨
العلم والبصيرة – المياه العذبة.....	٤٩
محطة الوصول.....	٥٢
القلوب المطمئنة – القمم الشامخة.....	٥٢
رسائل نبوية.....	٥٤
القلب – الميزان الخفي للإنسان	٥٤

الموضـــوع	الصفحة
الخاتمة	٥٧
النتائج	٥٨
التوصيات.....	٥٩
المراجع	٦١
الفهرس.....	٦٧